أثر الإيمان بالله تعالى
في صنع شخصيّة المجاهد الجزائريّ

أ. كمال لـــدرع
جامعة الأمير عبد القادر

تمهيـــد:

إنّ الثورة تختلف عن الحرب، فالحرب نزاع مسلح بين طرفين، كلّ منهما يقصد النيل من الآخر، أو إحداث خسائر به، وغير ذلك مما يقصده المتحاربون، أمّا الثورة فهي تغيير، بمعنى أنّ الثوار يريدون تغيير الوضع القائم بوضع جديد يتماشى مع أصالتهم وانتمائهم الحضاريّ، يتخلّصون فيه من الظلم والاستعباد، وينالون فيه حريّتهم وكرامتهم.

والثورة الجزائريّة من هذا المفهوم، وهي ثورة لم يصنعها الجبل ولا الأرض ولا الشجر، ولم تحقّق انتصاراتها بالمعجزة ولا بالتمني، وإنّما صنعها المجاهد الجزائريّ، ولا أقول الفرد الجزائريّ، لأنّه ليس كلّ فرد مجاهدا، وليس كلّ من على أرض الجزائر يحبّ الجزائر، أو يخلص

للجزائر[1]. فالأرض والجبال والغابات لم تصنع الثورة، وإنّما هي وسائل صنعت منها الثورة، أو صنعت بها الثورة، وسخرت لصالح الثورة، والذي أحسن توظيف هذه الوسائل وتسخيرها هو المجاهد الجزائريّ.

والمجاهد ليس فقط الذي حمل السلاح وصعد إلى الجبل، بل كلّ من قاوم الاستعمار من الجزائريّين، بأيّ وسيلة كانت، أو ساعد على مقاومته، فهو مجاهد يستحقّ المدح من الناس، والثواب من الله تعالى.

فالمجاهد الجزائريّ هو الذي صنع الثورة بجهاده ونضاله وتضحياته، فصار منه البطل والمسبل والفدائيّ والشهيد.

إنّنا لمّا نتكلّم عن الإيمان بالله تعالى ودوره في تشكيل شخصيَّة المجاهد الجزائريّ، هو قناعتنا بأنّ مجموعة من العوامل تظافرت على صناعة الثورة، أو على إحداث الثورة، أو على صناعة جهاد الشعب الجزائريّ.

فمن الخطأ أن نعزو الثورة ونجاحاتها وانتصاراتها إلى عامل الدين فقط، أو عامل السلاح، أو التخطيط، أو أيّ عامل مادي آخر، بل هي عوامل مشتركة ومتكاملة صنعت ثورة الجزائر المجيدة، وشاركت فيها مختلف

---

[1] ـ لأنّ بعض الجزائريّين خانوا وطنهم فتعاونوا مع المحتل الفرنسيّ ضدَّ الثورة التي قام بها الشعب الجزائريّ.

فئات الشعب، كلّ حسب قدرته، وكلّ حسب موقعه، والكلّ صار مجاهدا بمشاركته، مهما كانت نسبة المشاركة لكلّ منهم.

إنّ لفظ المجاهد والجهاد والشهيد وكلمة الله أكبر لتعبّر بحقّ عن قيم إيمانيَّة ترسخّت في نفسيَّة الشعب الجزائريّ.

الفرد الجزائريّ ما قبل الثورة:

كلّنا يعلم ما فعله الاستعمار الفرنسيّ بالشعب الجزائريّ، حيث عمل على مسخ شخصيّته، ومنعه من التعلّم، ونشر فيه الجهل، وغرس في نفسه كلّ عقد النقص. لقد اتبّع المحتل الصليبيّ مشروعا متكاملا حاول فيه طمس كلّ معالم الشخصيَّة الجزائريّة المسلمة، وانتهج في ذلك خطّة مدروسة، ابتداء من هدم المساجد، وتحويل الكثير منها إلى كنائس، ومنع تدريس التاريخ، وتفسير القرآن الكريم، لأنَّ ذلك يرفع من المعنويات، وينشر الوعي، ويشحذ الإيمان؛ كما كان يشجّع على التدين المغشوش بنشر البدع والضلالات، وبالتمكين لبعض الطرق الصوفيَّة[1] من قيادة دين الجماهير، والتي راحت تنشر بين الناس مفاهيم خاطئة، ولعل أخطرها: أنّ

---

[1] ـ لا نقصد بذلك كل الطرق الصوفيَّة، وإنَّما البعض منها ممن كان يتعاون مع المحتلّ، ولا يخفى على أحد ما قامت به الطرق الصوفيَّة والزوايا من نشر العلم وتعليم القرآن، وتخريج المجاهدين، إذ أنّ الكثير من الثورات قام بها زعماء الزوايا.

فئات الشعب، كلّ حسب قدرته، وكلّ حسب موقعه، والكلّ صار مجاهدا بمشاركته، مهما كانت نسبة المشاركة لكلّ منهم.

إنّ لفظ المجاهد والجهاد والشهيد وكلمة الله أكبر لتعبّر بحقّ عن قيم إيمانيَّة ترسخّت في نفسيَّة الشعب الجزائريّ.

الفرد الجزائريّ ما قبل الثورة:

كلّنا يعلم ما فعله الاستعمار الفرنسيّ بالشعب الجزائريّ، حيث عمل على مسخ شخصيّته، ومنعه من التعلّم، ونشر فيه الجهل، وغرس في نفسه كلّ عقد النقص. لقد اتبّع المحتل الصليبيّ مشروعا متكاملا حاول فيه طمس كلّ معالم الشخصيَّة الجزائريّة المسلمة، وانتهج في ذلك خطّة مدروسة، ابتداء من هدم المساجد، وتحويل الكثير منها إلى كنائس، ومنع تدريس التاريخ، وتفسير القرآن الكريم، لأنَّ ذلك يرفع من المعنويات، وينشر الوعي، ويشحذ الإيمان؛ كما كان يشجّع على التدين المغشوش بنشر البدع والضلالات، وبالتمكين لبعض الطرق الصوفيَّة[1] من قيادة دين الجماهير، والتي راحت تنشر بين الناس مفاهيم خاطئة، ولعل أخطرها: أنّ

---

[1] ـ لا نقصد بذلك كل الطرق الصوفيَّة، وإنَّما البعض منها ممن كان يتعاون مع المحتلّ، ولا يخفى على أحد ما قامت به الطرق الصوفيَّة والزوايا من نشر العلم وتعليم القرآن، وتخريج المجاهدين، إذ أنّ الكثير من الثورات قام بها زعماء الزوايا.

الاستعمار قضاء وقدر، وأنّ خروج المستعمر أمر إلهيّ لا دخل للإنسان فيه. كما حاول إعادة تركيب الأسرة الجزائريّة على النمط الأوروبيّ، والحمد لله أنّه لم يفلح في ذلك، إذ تماسك الأسرة الجزائريّة هو الجدار الذي اصطدم به الاستعمار الغاشم.

وإنّ ما فعله الاستعمار الفرنسيّ أثّر بشكل واضح على نفسيَّة الإنسان الجزائريّ وعقله، فتعطلت إرادته، وأصيب بالإحباط الداخليّ، والأنهزام النفسيّ، واعتقد الكثير أنّ الاستعمار قوّة لا تقهر.

والاستعمار الفرنسيّ في احتلاله للجزائر اعتمد على الدين، بل إنّ ما فعله كان امتدادا للروح الصليبيّة، ولا أدلّ على ذلك من القوانين الاستثنائيَّة التي أصدرتها السلطات الاستعماريَّة بشأن الجزائريّين كانت ذات نزعة دينيَّة، ولو كانت في ظاهرها تخفي ذلك، من ذلك قانون إلغاء القضاء الإسلاميّ، وقانون الجنسيَّة سنة 1865م، وإهمال التعليم الإسلاميّ، وإطلاق اليد للآباء البيض للقيام بحركة التنصير في أرض الجزائر، خاصّة في منطقة القبائل، وهدم المساجد، كلّ ذلك يجعل من الوجود الفرنسيّ ليس مجرّد سلطة احتلال سياسيّ واستغلال اقتصاديّ، لكنّه امتداد صليبيّ يحمل معه أضغان الماضي بكلّ بشاعته[1].

---

[1] ـ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، لبنان، ط1، سنة1990م، 16/3.

موقف الجزائريّين من الاحتلال الفرنسيّ :

لقد قابل الجزائريّون الغزو الصليبيّ بردّ فعل يتناسب مع طبيعة هذا الغزو، وهو إعلان الجهاد، لأنّ الجهاد يحمل المعنى الدينيّ، والمعنى الدينيّ للجهاد يشمل الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فنيل الحريّة وتخليص الوطن من الاستعمار الفرنسيّ، وأمّا في الآخرة فالفوز بالجنّة ورضا الله ، ومفهوم الجهاد هذا هو عين الوطنيّة الجزائريّة[1].

فلا فرق بين الوطنيّة في الجزائر والدين الذي يعتنقه أهل الجزائر، فمن الخطأ أن يعتقد البعض أنّ المقاومة التي دامت من سنة 1830م إلى سنوات العشرينات كانت مقاومة دينيّة، أمّا الوطنيّة فلم تظهر إلاّ خلال العشرينات، وبالضبط منذ إنشاء نجم شمال إفريقيا، وأنّ هذه الوطنيّة كانت بدل المفهوم الديني[2].

إنّ الحركة الوطنيّة ظلّت تعتمد على الدين طيلة العهد الاستعماريّ، سواء تعلّق الأمر بحركة الجهاد التي قام بها الجزائريّون منذ دخول المحتلّ الصليبيّ، والتي دامت طويلا، أو تعلق الأمر بالنضال السياسي منذ الحرب

---

[1] ـــ المصدر نفسه، ص:16و17.

[2] ـــ المصدر السابق، ص:15.

العالميَّة الأولى، لقد كان العامل الديني العمود الفقريّ في تحرّك كلّ القوى الوطنيَّة ضدَّ الاستعمار، وقد ازداد هذا العامل كما يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله ظهورا وقوّة أثناء الثورة التحريريَّة إلى غاية برنامج طرابلس سنة 1962م[1].

فمادّة التلاحم بين الجزائريّين هو الدين، لذلك حاول المستعمر على تفتيت تلك المادّة بإثارة النعرات القبليَّة والجهويَّة والعائليَّة، إلاَّ أنَّ الانتماء الإسلاميّ القويّ للشعب الجزائريّ، وموروثه الحضاريّ جعله يتخطّى ذلك، ويواجه الاستعمار كالجسد الواحد.

قيمة الإيمان :

الإيمان بالله تعالى طاقة هائلة، إذا تسلح بها الإنسان كان قويًّا في عمله وخلقه وسلوكه وتفكيره. هذا الإيمان إذا ما وقر في القلب أثمر عملا وجهدا، يقول الرسول ﷺ: «**الإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل**»، ومن هنا فالمؤمن الذي يعيش المعنى الصحيح للإيمان تجده في جهاد مستمر: جهاد مع نفسه، ليخلّصها من الأهواء والنزعات الفاسدة، وجهاد مع الشيطان لدفع وساوسه وإغراءاته، وجهاد ضدَّ العدوّ لدفع

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص:15.

أخطاره، وردّ كيده[1]. والإيمان يجعل المؤمن يضحّي بماله ونفسه في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات، الآية:15].

فالإيمان بمفهومه الصحيح عزّة وشجاعة وكرامة، وعمل وحركة، وهذا الإيمان لا تقف في طريقه قوّة مهما بلغت، وهو الذي يصنع الصمود والتضحيّة والثبات والبطولة، هذا الإيمان هو الذي جعل القائد العظيم عقبة بن نافع يخوض أروع المعارك ضدّ الرومان ويجليهم عن شمال إفريقيا، ويواصل فتوحاته المظفّرة غربا حتّى انتهى إلى شاطئ المحيط، وهناك يرتقي ربوة عاليّة، ويهتف من أعماق قلبه في مشهد جليل مهيب، ويقول قولته المشهورة: "يا ربّ إنّك تعلم أنّه لولا هذا البحر لمضيت مجاهدا في سبيلك"[2].

إنّ الذي جعل الفرد الجزائريّ يرتقي إلى مرتبة الجهاد، ويضحّي بنفسه من أجل أرضه ودينه وكرامته هو إيمانه بأنّ ما يفعله هو في سبيل الله

---

[1] ـــ لابن القيم كلام نفيس في بيان مراتب الجهاد، حيث جعلها أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين. انظر كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، سنة1404هـ/1984م، ج:3، ص:9وما بعدها.

[2] ـــ محمد الصالح الصديق، صفحات من جهاد الجزائر، شركة الشهاب، الجزائر، ص:142و143.

تعالى، فهو يدافع عن دينه وكرامته وأرضه، وهي كلّها مقاصد يستوعبها مفهوم في " سبيل الله ".

دور الإيمان في شحذ إرادة الفرد الجزائريّ:

إنّ الوسائل الماديَّة لم تكن وحدها كافيَة في تشكيل قوة شخصيَّة المجاهد الجزائريّ، فإيمانه بالله تعالى الذي رسخ في قلبه، والطمع بما أعدّه الله للمجاهدين ارتقى به إلى مرتبة الجهاد، فراح ينطلق ويتحدى العدوّ بسلاحه البسيط، كلّه عزّة وثبات.

إنّ العلاقة الروحيَّة بين الله والإنسان كما يقول مالك بن نبي هي التي أثمرت العلاقة الاجتماعيَّة، وهذه بدورها هي التي ربطت بين الإنسان وأخيه الإنسان[1]، وهو ما ظهر جليًّا في التلاحم الكبير بين أفراد الشعب الجزائريّ: في اقتسام لقمة الخبز، وفي تحدّي الاستعمار الغاشم. فالإيمان يخلق في الفرد نظاما اجتماعيًّا يتحول فيه الفرد إلى أفراد كثيرين، يشعر فيه بأنّه جزء من كلّ، ويتفاعل معه في السرّاء والضرّاء، وهذا المعنى أكّده

---

[1] ـ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعيَّة، دار الفكر، الجزائر، ط3، سنة1406هـ/ 1986م، ص:56.

النبي ﷺ في الحديث الشريف، حيث يقول: «**إنّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا وشبّك أصابعه**»[1].

إنّ الإيمان بالله تعالى يساوي العزّة، وصاحبه يشعر بالفخر والاعتزاز، لأنّه يقوم بعمل عظيم يرضي به ربّه تعالى، ويجلب الخير والنفع لشعبه ووطنه.

فالمجاهد الجزائريّ المسلم المتشبّع بحقائق الإيمان لمّا قام بواجب الجهاد، وحمل السلاح، فهو يعلم علم اليقين أنّ جهاده لن يذهب سدى، فهو ينال إحدى الحسنيين، إمّا النصر ونيل الحريَّة، وإمّا الشهادة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة، الآية:52].

فالنفس الجزائريّة تغيّرت من داخلها، ولما تغيّرت من داخلها أرادت أن تغيّر ما حولها، أي أرادت أن تغيّر كلّ ما يتعارض مع عزّتها وكرامتها، وفي هذه اللحظات يسيطر على النفس مفهوم الواجب، فترتقي فيها إلى

---

[1] ـــ أخرجه البخاري في كتاب الصلاة،باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره،صحيح البخاري،99/1. وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدّهم، صحيح مسلم، 20/8.

مستوى التضحيَّة بالروح، فيثمر لها فيما قيامها بالواجب نيل حقوقها المشروعة، من حريَّة وأمن ورخاء.

إنَّ الإيمان بالله تعالى يتنافى والعزة والكرامة، يأبى الظلم والاستعباد، فكلما كانت معاني الإيمان راسخة في النفس، تحوّلت تلك النفس إلى طاقة لا تقهر. وهذا ما لمسناه من المجاهد الجزائريّ.

إنَّ أيّ فرد يخوض معركة دون روح معنويَّة عاليَّة، وقناعة بالدوافع، فلن يصمد أمام قوّة العدوّ، إذ طريق الثورة طويل وشاق، فكان لا بد له من عدّة إيمانيَّة تزوّد الفرد بالصبر والأمل.

من الأنديجان إلى المجاهد :

أمام الوضع المزري الذي يعيشه الفرد الجزائريّ، وأمام تنامي الوعي بالقضيَّة الجزائريّة، كان لابد من تطهير الإنسان الجزائريّ من رواسب الاستعمار، وإعادة صياغة وتشكيل شخصيته من جديد، وهذا ما قامت به الحركة الوطنيَّة عامّة، وحركة الإصلاح بصفة خاصّة، ابتداء من سنوات العشرينات.

ثمَّ إنَّ الثورات المتقطعة التي كانت تقوم من حين إلى آخر حافظت على استمرار الروح الجهاديَّة في نفسيَّة الشعب الجزائر، ورفضه

للاستعمار، وعدم نسيان عداوته، فلم ينخدع لما كان يظهره المستعمر من الليونة وتقديم المساعدة لهم، وهي عوامل دفعت بالشعب الجزائريّ إلى القيام بثورته المجيدة.

فالثورة الجزائريّة ثمرة لمجهود كبير وطويل، أفرزته عدّة عوامل، فهي ـــ أي الثورة ـــ كما يقول مالك بن نبي لا ترتجل، بل هي اطراد طويل، يحتوي ما قبل الثورة، وأثناء الثورة، وما بعد الثورة[1]. وأهمّ ما هو قبل الثورة هو إعداد الفرد الذي هو محور الثورة، وهو وسيلة الثورة، وهو هدف الثورة، هذا الفرد الذي ينبغي أن يكون في مستوى الثورة وتحمل أعبائها الثقيلة، خاصّة من الناحيَّة الروحيَّة والنفسيَّة، لأنَّ أيّ شعور بالنقص، أو الخوف، أو التردد يفشل مشروع الثورة، فيتخلى عنها أصحابها، أو يجهضها العدوّ في بدايتها، لأنَّ الثورة ليست كإحدى الحروب تدور رحاها مع العدوّ والعتاد فقط، بل إنَّها تعتمد على الروح والعقيدة،[2] لأنَّها منهج تغيير طويل، يحتاج إلى عدة إيمانيَّة كافيَّة، وليست مجرد نزاع مسلّح ضدَّ عدوّ ظالم.

---

[1] ـــ مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر، الجزائر، ط2، سنة1408هـ/1988م، ص:14.

[2] ـــ المرجع نفسه، ص:15.

فالإنسان الجزائريّ الذي كان يلقّب بالأنديجان، أي الأهليّ، مهان ومطموس الشخصيَّة، ويعامل بالاحتقار والاستعباد، صار يلقّب بالمجاهد والشهيد، وهي مصطلحات نابعة من مقتضيات الإيمان بالله تعالى، وصار الفرد الجزائريّ يفتخر بلقبه الجديد، الذي حرَّرَ نفسَه من استعباد المستعمر، وأصبح يتحدّاه، وهذا من تعليم الإسلام الذي تلقّاه الفرد الجزائريّ، لأنَّ الإسلام يعتبر مقاومة العدوّ جهادا، والجهاد مرتبة من مراتب الإيمان، لذلك فلقب " **المجاهد** " خاص بالمؤمنين، والمؤمن وحده الذي يحارب العدوّ يستحق أن يلقب بالمجاهد، والجهاد عمل صالح في الدنيا، وهو من أعظم القربات التي يقوم بها المؤمن، وثوابه عظيم في الآخرة.

فالفرد الجزائريّ بمجرد أن لقّب بالمجاهد، أو قام بواجب الجهاد، تخلّص من عقدة النقص تجاه المستعمر، ووعى دوره وواجبه، واستوعب رسالته، وأدرك أنَّ الجهاد فريضة شرعيَّة يحاسبه عليها الله تعالى، فلا يجب أن يولي دبره عن الجهاد، إذ التولي يوم الزحف من كبائر المعاصي؛ وأنَّه مسؤوليَّة بينه وبين أرضه وشعبه، فلا يجوز له أن يتأخر عن واجب الجهاد، إذ التأخر خيانة لا يغفرها له الشعب.

لقد حاولت فرنسا أن تترع صفة الجهاد عن المجاهدين وإبداله بكلمة "**الفلاقة** "، فلم تفلح، لا لشيء إلا لأنّ الثوار الجزائريّين رفضوا أن يتنازلوا عن لقب الجهاد، الذي هو لصيق بالعقيدة الإسلاميَّة، لأنَّ التنازل عنه من جهة الدين معصيَّة، ومن جهة الوطن خيانة وانهزام[1].

حقيقة تاريخيَّة ثابتة :

إنّ الثورة الجزائريّة انطلقت بأبسط الوسائل، لقد ابتدأت بالبندقيَّة والسلاح الأبيض والمتفجرات التقليديَّة التي هي من صنع اليد، لكن إيمان المجاهد الجزائريّ بالله تعالى جعله يثق بنفسه، ويتجاوز ضعفه وقلّة وسائله.

هذه الحقيقة التي عاشها المجاهد الجزائريّ المسلم تكرّرت عدّة مرّات في التاريخ، لأنَّ الحقائق والمعاني والسنن ثابتة لا تتغيّر، فهي تختلف من حيث الزمان والمكان والأشخاص، لكنها لا تختلف من حيث الحقائق والمعاني.

فقد قصّ علينا القرآن قصة طالوت وجالوت، فالأوّل يمثل الحقّ والعدل، والثاني يمثّل الباطل والجور، فرغم قلّة عدد جيش طالوت من حيث العدد والعتاد، فقد انتصروا على جيش جالوت الكبير، لأنَّ توكّل

[1] ـــ المرجع السابق، ص:52و53.

المؤمنين على الله وإيمانهم الراسخ جعلهم يثبتون في المعركة، ويتجاوزون ضعفهم وقلّة عددهم، وفي ذلك قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة، الآية:247و248 و249].

وهذا المعنى تكرّر أيضا في غزوة بدر الكبرى، حيث تقابل جيش المسلمين وهم حوالي ثلاثمائة ضدَّ جيش المشركين وهو يقارب الألف، ورغم قلّة العدد، وقلّة الخيل والسلاح استطاع جيش المؤمنين أن ينتصر عليهم، لأنَّ قوّة الإيمان كانت عظيمة، وثقتهم بالله كانت كبيرة، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[آل عمران، الآية:123].

فهذه حقيقة ثابتة لا تتغيّر، مادامت أسبابها قائمة، فكلّ من أخذ بأسباب النصر ينتصر، ومن أعظم أسباب النصر الإيمان، فقوّة الإيمان هي

التي تحدّد مصير المعركة، أو مصير الصراع، لأنَّ السلاح وسيلة يستعملها الفرد، وعلى قدر إيمان حامل السلاح، يحدِثُ السلاح أثرَه في العدوّ. فالمجاهد الجزائريّ بفضل إيمانه، وقناعته بقضيّته استطاع أن يصنع ببندقيته معجزة النصر التي صارت تتغنّى بها الأجيال، وغذت قدوة لحركات التحرر في العالم.

مـواقف إيمـانيّة:

إنَّ مواقف الإيمان كثيرة وعظيمة في جهاد الشعب الجزائريّ، قد تعجز هذه السطور، أو هذه المناسبة عن الإحاطة بها، لكن موقف واحد منها قد يكفي في إعطاء صورة عن مواقف الإيمان التي حفلت بها ثورة الجزائر المجيدة، والتي تعبّر عن شخصيَّة المجاهد الجزائريّ.

من ذلك شخصيَّة المجاهد والشهيد عباس لغرور الذي تولى قيادة زمرة من المجاهدين ليلة الهجوم، وكان من الذين نظموا الثورة في منطقة الشرق مع الشهيد مصطفى بن بولعيد وشيهاني بشير، هذا الشهيد يوجّه كلمة إيمانيَّة إلى المجاهدين ليلة الفاتح من نوفمبر، وقد تأخّر وصول السلاح إليهم، وممّا جاء في كلمته: "إخوتي الأعزاء.... ها نحن قد أدركنا يوم

الثورة العظيم، الذي يجب أن يقود الجزائر إلى الاستقلال، إنّ علينا القيام بالهجوم على الأهداف كلها وذلك على الرغم من عدم وصول الأسلحة التي من المفروض لها أن تصلنا مع زمرة العشرين رجلا من دوار يابوس... ثمّ قال: وعلى كلّ واحد منّا بذل قصارى جهده لضمان النجاح على أفضل صورة ممكنة، إنّني أعرف بأنّنا سنجابه العدوّ وأيدينا فارغة عمليا، وليس لدينا إلاّ الإيمان الذي يعمر قلوبنا... وختم كلمته بقوله: إنّني أثق بكم وبشجاعتكم وتصميمكم، انطلقوا واضربوا العدوّ بقوّة، ودون أدنى رحمة أو شفقة، وعودوا ظافرين، ذلك لأنّ الله مع المجاهدين، ومع القضيّة العادلة، الله أكبر"[1].

وهذه الزمرة التي بقيادة عباس لغرور كانت مكلّفة بقطع الاتصالات الهاتفيّة وعزل منطقة خنشلة عن بقيّة المدن الأخرى، ومكلفة بإلصاق بيانات الثورة على كلّ منازل خنشلة.

وهذا المعنى الذي ورد في كلمة أحد كبار مجاهدي الثورة وشهدائها، كرّسته الوثائق الرسميّة للثورة، فقد جاء في بيان لجيش جبهة التحرير في

---

[1] ـ بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت الثورة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، سنة1406هـ/1986م، ج:9، ص:148و149.

الفاتح من نوفمبر 1954م، حيث ورد في ختامه: "إنّ عدم المبالاة والتخلي عن الصراع أصبح جريمة، أمّا الخيانة فهي في مقاومة الثورة، إنّ الله مع المجاهدين المدافعين عن قضيّة العادلة، وليست هناك قوّة يمكن لها إيقافهم منذ اليوم، فإمّا الموت بفخار، وإمّا تحرير الوطن".

فالمجاهد الجزائريّ صار قويًّا، لأنّه مجاهد، و الله تعالى مع المجاهدين.

وقصّة ذلك البطل في منطقة ذراع الميزان الذي ألحق بالعدوّ خسائر كبيرة في معركة من المعارك، وهو متحصن في مكان بين الصخور إلى أن أصابته شظيّة قنبلة تطايرت من خلفه، فسقط شهيدا بعد مقاومة ضاريّة، وعندما انتهت المعركة، ذهب الضابط الفرنسيّ إلى مكان هذا الشهيد الذي أحدث فيهم مجزرة، وقف عند رأسه وأدخل يده في قنسوته والجنود حوله ينظرون، فأخرج مصحفا صغيرا مع قطعة خبز من الشعير، تأمّل الضابط ما في يده مليًّا، ثم أخذ المصحف وفتحه، ونظر في صفحات منه، ثم أخذ قطعة الخبز وحدّق

فيها النظر، ووجد صعوبة في تهشيمها، ثم التفت إلى جنوده وقال لهم: إنَّ المدافع والقنابل قد تقضي على الأشخاص كما قضت على الرجل، ولكنها لا تقضي على العقيدة والإيمان[1].

---

[1] ـ محمد الصالح الصديق، صفحات من جهاد الجزائر، ص:145 وما بعدها.